

## الأنا والآخر

دراسة تحليلية لتكوين مفهوم الأنا والآخر لدى

طفل الروضة ودور المربية في ذلك

- توطئة.
- الأهداف التي سعت إليها الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- مسوغات الدراسة:
- أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة.
- ثانياً: نشأة مفهوم الذات وتطوره.
- ثالثاً: الطبيعة الاجتماعية للذات.
- رابعاً: سمات مفهوم الذات.
- مفهوم الذات ودوره في تحقيق الذات وموقعه في هرم الحاجات الإنسانية.
- سبل بناء مفهوم إيجابي للذات لدى طفل الروضة.
- كيفية تقبل الذات.
- تقبل الآخر وعلاقته بالثقافات المتنوعة.
- مقترحات يمكن أن تفيد منها المربية.
- كلمة أخيرة.
- المراجع المعتمدة.
- ملخص الدراسة باللغة الإنكليزية.

obbeikandi.com

## توطئة

ينظر الواحد منا لنفسه، من خلال إدراكات مختلفة، فنحن ننظر لأنفسنا كرجال أو نساء، أو كمربين، أو كطلاب، أو كسوريين، أو كأذكفاء، أو باعتبارنا نحيفي الأجسام، أو عريضي المناكب، سمرأ أو بيضاً، طوالاً أو قصاراً فقد عاش ويعيش كل واحد منا مع هذا المفهوم طوال حياته بحيث صار جزءاً من نظم المعتقدات الراسخة لديه والتي يصعب تغييرها، غير أن معتقداتنا نحو ذاتنا ليست قوالب جامدة، بل هي ولحسن الحظ قابلة للتغيير لذا فإن الفرد يشكل مفهومه لذاته من خلال الخبرات الحياتية التي يمر بها، وبخاصة من خلال التفاعل مع الأشخاص الذين يعيش معهم. وإذا كان مفهوم الذات يعد من المفاهيم الجديدة نسبياً في علم النفس، إلا إن الحديث عن الذات أو النفس حديث قديم، ترجع جذوره إلى الحضارات اليونانية القديمة.

« إن إشكالية الأنا بالنسبة لديكارت، هي أولاً وقبل كل شيء وعي الذات، ومن هنا تبرز إشكالية أصل فكرة الأنا، ليس من منظور تجريدي معرفي، بل منظور سيكولوجي، إن الإنسان عندما يستطيع أن يملك تصوراً للأنا الخاص به، فإن هذا التصور يرتقي به إلى ما فوق الكائنات الأخرى التي تعيش على الأرض، أي أنه مخلوق يتميز من حيث مكانته وكرامته عن الأشياء من حوله، وعن الحيوانات غير العاقلة التي يمكنه التعامل معها والتحكم بها كما يشاء » (ايغور كون، ١٩٩٢، ٢٠).

ومفهوم الذات من الموضوعات المهمة في التراث العربي الإسلامي، فقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تناولت الذات أو النفس، قال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (السورة ٥١، الذاريات، الآية ٢١) ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها ﴾ (السورة ٤١، فصلت، الآية ٤٦).

وفي الحديث الشريف: « الكبّيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى » (مسند الإمام أحمد ١٧١٢٣ والترمذي ٢٤٥٩، وابن ماجه ٤٢٦٠).

وذكر في إحدى رسائل إخوان الصفا أفكار مهمة تتصل بالذات اتصالاً مباشراً، « اعلم يا أخي: — أيدك الله وإيانا بروح منه — أن لب العلوم الشريفة، معرفة الإنسان نفسه، لأنه قبيح بكل عالم يتعاطى الحكمة، أن يدعي معرفة الأشياء وهو لا يعرف نفسه، ويجهل حقيقة ذاته ... ثم اعرف أن الإنسان لا يمكن أن يعرف نفسه على حقيقتها إلا أن ينظر ويبحث وذلك من جهات ثلاث: إحداها الجسد مجرداً عن النفس، والثانية النفس مجردة عن الجسد، والثالثة الجملة المجموعة من النفس والجسد » (زهران، ١٩٧٧، ٣٠١).

هذا « وتتكون الذات بواسطة الأنا (EGO)، والأنا هو ذلك الجزء من الشخصية النظم النفسي — الذي يتصل بالعالم الخارجي، وهو مسؤول عن تنظيم السلوك وضبط الانفعالات لأنه رزين عاقل » (فهمي، ١٩٩٧، ٨٠).

### الأهداف التي تسعى إليها هذه الدراسة:

تسمى هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف عديدة أهمها:

- تحديد معنى الأنا أو الذات.
- تحديد معنى الآخر.
- تحديد ماهية العلاقة بين مفهوم الأنا « الذات » ومفهوم الآخر.
- تحديد دور المربية في الروضة في تقبل الطفل لذاته وتقبله للآخر.

### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

- الكشف عن الأنا (الذات) وتحديد مكانتها بالنسبة للإنسان عموماً وللطفل على وجه الخصوص.
- إطلاع المربية في الروضة على الدور المنوط بها فيما يتعلق ببناء مفهوم الذات لدى الطفل في هذه المرحلة.

### مסوغات الدراسة:

إن الخيار الأنا واضطرابها يمكن أن يؤدي إلى إصابة الشخصية كلياً أو جزئياً بالأمراض والاضطرابات النفسية، ومن هنا كان لا بد من التأسيس الجيد لهذا المفهوم، والعمل على اكتشافه وفهمه من قبل الطفل بشكل مبكر.

إضافة إلى نقص الاهتمام بمفهوم الأنا أو الذات، وكيفية بنائه وتحسينه في المؤسسات التربوية المعنية بالطفل في هذه المرحلة.

### أولاً: التعريف بالمصطلحات:

إن كلمة « أنا » ضمير شخصي للمتكلم المفرد، واللغويون يصفون الضمائر بأنها كلمات تستخدم كبدايل للأسماء، فالضمير أنا، يعني ضمير المتكلم، وأنت ضمير المخاطب، وهما يتميزان بشكل واضح عن ضمائر الشخص الثالث، أي ضمير المفرد الغائب ... إن أنا تعني دائماً الفرد القائم بذاته، المرتبط بالنفس أو الحامل المادي للنشاط الذي يقوم به الفرد في أثناء تعامله مع شخص آخر، أي مع أنت أو هو أو هم (إيفوركون، ١٩٩٢، ١٠ - ١١).

\* **مفهوم الأنا: (ego)** « الذات وبخاصة مفهوم الفرد عن نفسه » وفي التحليل النفسي « تعني الأنا القسم السطحي من الهي، النفس أو النفس البدائية الطفولية التي تنجم عن الهي استجابة لمثيرات بيئة الطفل العضوية والمحيطية » (عاقل، ١٩٨٨، ١٢٠).

\* **مفهوم الذات: (self)** الذات هي الفرد بوصفه كائناً واعياً (م.س)<sup>(١)</sup>

« وتستخدم الذات عادة بمعنى الشخصية أو الأنا » (رزوق، ١٩٧٧، ١٣٨).

إن إشكالية الذات هي إحدى جوانب السؤال المتعلق بجوهر الإنسان، لكنها من حيث المبدأ تعالج الكثير من المسائل، ويقصد بذلك خاصية النوع الإنساني واختلافه عن الحيوان. لقد سبق وتمت الإشارة إلى أن الذات من صنع الأنا، لا بل إن الذات هي الأنا كمل ورد في قواميس علم النفس أعلاه. والذات في علم النفس هي: الشعور والوعي بكيونة الفرد، وتتكون بنية الذات كنتيجة للتفاعل مع البيئة، وتنمو نتيجة للنضج والتعلم والخبرة.

### تعريف الباحثة:

الذات مفهوم مركب ينطوي على مكونات عديدة، نفسية معرفية وجدانية اجتماعية وأخلاقية ... تعمل متناغمة متكاملة فيما بينها ويساير هذا المفهوم في نموه وتطوره المراحل

(١) (م.س) تعني المرجع السابق.

النمائية ويبدأ في التكوين منذ السنة الأولى من عمر الطفل ثم يرتقي تدريجياً بفعل عمليات النضج والخبرة والتعلم والتنشئة الاجتماعية.

### والذات الكلى تنطوي على ذوات فرعية هي:

— الذات المدركة أو الحقيقية كما أسمتها (هورني: PERCEIVED SELF) أي فكرة المرء عن نفسه، وتشمل المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما يتصورها الشخص ذاته.

— الذات الاجتماعية: SOCIAL SELF وتشمل فكرة الآخرين عن الشخص، أي الصور التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها عنه.

— الذات المثالية: IDEAL SELF أي ما يتمنى المرء أن يكون، وهي تتحدد من خلال الصور المثالية التي يتمنى المرء أن يكون عليها (فهمي، ١٩٧٩، ٨١) وعلى ذلك يمكن تعريف مفهوم الذات بأنه: تكوين معرفي منظم موحد ومتعلم للمدركات الشعورية، والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد، ومن العناصر المختلفة لكيونته الداخلية والخارجية (زهرا، ١٩٧٧، ٢٥٨).

وعلى الرغم من أن مفهوم الذات ثابت إلى حد كبير، حسبما يرى روجرز صاحب نظرية الذات SELF THEORY، إلا أنه يمكن تعديله عن طريق العلاج النفسي المتمركز حول العميل أو المفحوص CLINT - CENTRED THERAPY، الذي يرى بأن أحسن طريقة لإحداث التغيير في السلوك، تكون أن يحدث التغيير في مفهوم الذات (م.س).

### ثانياً: نشأة مفهوم الذات وتطوره في الطفولة المبكرة:

إن الطفل حديث الولادة لا توجد لديه فكرة عن نفسه ككيونة متميزة عن عالمه الخارجي، وعن الأشياء المحيطة به، ويرى جان بياجيه « أن المواليد في الأشهر القليلة الأولى غير قادرين على التمييز بين أنفسهم أو ذواتهم، وأفعالهم والأشياء المحيطة بهم والتي يمكن أن يستخدموها في أفعالهم » .... لكنه يرى أيضاً أن مفاهيم الذات تسبق في الظهور والتكون مفهوم الآخر أو الآخرين (بهادر، ١٩٨٦، ١٦٦).

وقد استخدم بياجيه كلمة مفاهيم وليس (مفهوم) لأن الذات تتغير من مرحلة إلى أخرى، وبذلك يصبح الحديث عن ذوات وليس عن ذات واحدة، أو عن مفاهيم وليس عن مفهوم واحد للذات.

ويعد اسم الطفل من بين أهم العوامل التي تساعد على معرفة أنه أو ذاته كجوهـر مستقل ووجود مثير، وفي حال إدراك الطفل لذاته كشيء مستقل يستطيع أن يدرك معنى اتجاهات والديه نحو بواعثه وحاجاته الفيزيولوجية.

وعلى أية حال، فإن الطفل يبدأ في تكوين فكرة عن ذاته خلال السنة الأولى من حياته، ويكتشف معاني عن جسده من خلال تناول الأجزاء المختلفة منه، أو الإمساك بها ومن خلال النظر في المرآة أيضاً. (AMES, 1952)

إن المفاهيم التي يكوها الطفل بصفة عامة ذات تأثير كبير في نموه، غير أن النمط الأكثر تأثيراً منها، هو ذلك الذي يتصل بتفكيره كفرد، أي بذاته المستقلة. ومن ناحية أخرى « يستطيع الطفل بدءاً من عامه الأول أن يميز الأشخاص الآخرين، وذلك من خلال نغمة أو نبرة أصواتهم، وتعبيرات وجوههم » (م.س).

هذا، وتعد الابتسامة من بين الاستجابات الاجتماعية الهامة لدى الطفل، ومن هنا، فقد نالت اهتمام العديد من الباحثين والدارسين في هذه المرحلة مثل (سالدن ١٩٦٣، شيرلي ١٩٣٣، سبتروولف ١٩٤٦)، إذ دلت هذه الدراسات أن الابتسامة بشكل عام أو الابتسامة العامة غير المحددة، تظهر لأول مرة لدى الأطفال كاستجابة للصوت أو الوجه الإنساني الآخر ما بين نهاية الشهر الأول والثالث، وأشارت هذه الدراسات كذلك، إلى أن الابتسامة اللامتمايزة وغير المحددة تتحول كي تكون لشخص محدد دون آخر، في النصف الثاني من العام الأول وهذه مؤشرات تدل على نشوء ما يسمى (بالوعي الذاتي SELF - CONSCIOUSNESS) الذي يظهر في نهاية العام الثاني عندما يحاول الطفل أن يخفي ذاته في وجود الغرباء.

ومع تقدم الطفل في النضج والخبرة الاجتماعية، يزداد وضوح مفهوم الذات لديه تدريجياً ويشعر أنه شخصاً مستقلاً عن الأشياء الأخرى، وعن الناس الآخرين ويتزامن ذلك مع النشاطات والأفعال أو عمليات المبادأة التي يقوم بها.

## ثالثاً: الطبيعة الاجتماعية للذات:

تعد الذات نتاج لعملية التفاعل الاجتماعي، فنظريات نمو الذات على اختلافها تركز على إدراك الفرد لكيفية رؤية الأفراد الآخرين له، وعلى مقارنة نفسه بالأنماط الاجتماعية الموجودة من حوله. (FLAVELL 1963 p. 96)

وقد أطلق (ميللر 1963. MILLER) على إدراك الفرد لمظهره من خلال جماعة خاصة مصطلح (الهوية الذاتية العامة) فهو يعتقد، أن الفرد يرى نفسه بصورة مميزة في نظر هذه الجماعة التي ينتمي إليها.

ولكن، على الرغم من الطبيعة الاجتماعية للذات، فإن هناك ذاتاً داخلية تكون بمثابة النواة كما ذكر وليم جيمس « وهي أعمق وأقوى وأصدق ذات » وهذه النواة تنمو خارج نطاق العمليات الاجتماعية التعليمية، وبخاصة عملينا تعلم الدور والتوحد أو التقمص.

وتحتل عملية التوحد أو التقمص مكانة خاصة في فهم نمو الذات، فقد تم التوصل من خلال تحليل هذه العملية، ومعرفة ما تنطوي عليه من مكونات إلى تحديد الأسباب التي توضح مسوغات اختيار الشخص الآخر كمثل أعلى يحتذى به وعندما يتم اختيار المثل الأعلى، فإن الفرد يحاكيه، ويحذو حذوه في السلوك والمشاعر والعواطف.

وعلى ذلك فإن حب الوالدين للطفل وعطفهم عليه، ومشاعرهم الودية نحوه، تكون على درجة كبيرة من الأهمية في تكوين مفهوم الذات لديه خلال مراحلها النمائية المختلفة (flavell. 1963 p.99).

والطفل الذي ينشأ في أسرة تحيطه بالرعاية والحنان والتقبل، تزداد قدراته ومهاراته وإمكاناته وترتقي، ولكن يمكن أن يدرك الطفل نفسه كخفي أو مشاكس أو عاجز من خلال نظرة والديه إليه، ومن خلال التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي يتبعها معه (م.س)

وهناك بالإضافة إلى الوالدين أشخاص أكثر، على درجة كبيرة من الأهمية في تكوين مفهوم الذات لدى الطفل، مثل المربين والأقران، ورفاق اللعب والأقرباء والجيران، وغيرهم من هم في محيطه (الأحمد، ١٩٩٨).

وتؤثر الأدوار الاجتماعية التي يلعبها الفرد منذ طفولته في مفهوم الذات لديه، إذ يتعلم أن يرى نفسه كما يراه رفاقه وأنداده في المواقف الاجتماعية المختلفة.

فقد وجد (كوهن) وآخرون ١٩٦٣ من خلال نتائج الدراسة التي قاموا بها معتمدين اختبار (من أنا) (Who AmI) ، أن هذا التصور للذات إنما يتم من خلال الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يلعبها الطفل.

ولقد دلت نتائج الدراسة التي قام بها (كومبس ١٩٦٩)، أن التفاعل الاجتماعي بين الأطفال في الروضة، يلعب دوراً هاماً في تكوين مفهوم الذات لديهم، ولهذا التفاعل أشكالاً مختلفة، منها التفاعل اللفظي والتفاعل من خلال الاحتكاك الجسدي وتبادل الابتسامات، والتفاعل من خلال اللعب والموسيقى والاستحسان المتبادلة مع المربية.

وللمقارنة كذلك، دوراً هاماً في تكوين مفهوم الذات فالطفل منذ نعومة أظفاره ما ينفك يقارن نفسه بالأطفال الآخرين وتبرز المقارنة جلية في سن الروضة، حيث ينظر كل طفل إلى الآخر نظرة متمعنة ثابتة تشبه نظرات الكبار فهو يريد أن يعرف ما يرتدي رفيقه. وماذا يأكل. وكيف يلعب ويتكلم. وهل تحبه المربية أم لا، ولماذا تحبه؟: أ لأنه نظيف أم جميل، أم ذكي أم ماذا.... وعلى ذلك، يحاول أن يجري مقارنات مستمرة بينه وبين قرينه، لماذا ابتسمت له المربية ولم تبتسم لي، لم تربت على كتفه، ولم تربت على كتفي... وهكذا تستمر المقارنات طوال اليوم ولا تتوقف.

وتحسن المربية صنفاً إذا حاولت أن تنصف الأطفال في تعاملها معهم، وتوزع حبها وحنانها وتقديرها على الجميع، قدر الإمكان مع الإشارة إلى السلوك المتميز الذي تفضله بين الحين والآخر.

وهناك، بالإضافة إلى المؤثرات الاجتماعية المختلفة التي يمكن أن تؤثر في نمو مفهوم الذات لدى طفل الروضة، مؤثرات هامة أخرى، ومنها صورة الجسم (Body Image) والقدرة العقلية للطفل، فصورة الجسم تتأثر بخصائصه الموضوعية مثل الحجم والطول والقصر، الذكورة والأنوثة، وسرعة الحركة، والتناسق العضلي، واللون، والشعر، «حيث تنمو من خلال هذه الخصائص تصورات الأطفال ومشاعرهم واتجاهاتهم نحو أجسادهم والعديد من هذه الصور لا شعوري وهي تمثل آثار التفاعل المتبادل للطفل مع العالم الخارجي».

وقد أظهرت الدراسة التي قام بها كل من جورارد وسيكورد (jourard and second) عام ١٩٥٥ « أن الحجم الكبير بالنسبة للذكور مثلاً يساعد على الرضى عن الذات، بينما يحقق الحجم الصغير للإناث مشاعر الرضى والراحة» (هماد، ١٩٨٦، ٢٩).

لقد كانت دراسة صورة الجسم إحدى السبل الهامة لفهم الأطفال العصبيين والمرضى النفسيين ومن هنا فهي تستحق اهتماماً كبيراً من قبل المشتغلين والدارسين في علم النفس الاكلينيكي وتحتاج من قبل هؤلاء إلى دراسات معمقة خاصة بها، غير أن هذه الدراسة لا تتحو هذا المنحى، وإنما تتناول الذات بمعناه الكلي الشامل، من وجهة نظر نمائية نفسية تربوية فقط.

إن علاقات الطفل مع الأفراد المهمين في حياته وبخاصة والدته تتمثل كجزء من صورة الجسم، وهذا يؤكد مرة أخرى، أن مفهوم الذات ينمو من خلال الأدوار التي يلعبها الطفل مع الآخرين ومن خلال تفسيره لأدوارهم أيضاً.

وبعد الجنس (الذكورة والأنوثة) عاملاً إضافياً مهماً وذا دلالة بالنسبة لنمو الذات وقد ورد سؤال (هل أنت ولد أم بنت) في معظم اختبارات الذكاء القديمة المخصصة لسن السنوات الثلاث الأولى.

ولكن على الرغم من أن المعارف والمشاعر الأساسية وأنماط الأفعال المتصلة بالجنس تبدأ في الظهور لدى الطفل في مرحلة سني المهدي، وتتضح أكثر في الطفولة المبكرة، إلا أن تعلم الدور الجنسي أو المهمات النمائية الخاصة بالجنس يحدث في معظمه متأخراً عن هذه المرحلة أي في نهايات سني الروضة (Ames 1964 p. 101).

وإذا كان إشباع حاجات الأطفال من الحب والحنان داخل الأسرة، ومن الأم خاصة، يلعب دوراً كبيراً في تكوين ذواتهم، فإن الحرمان من هذه الحاجات يلعب الدور المعاكس، إذ يميز الطفل المحروم بنقص مفهوم الذات لديه بتدني هذا المفهوم وربما لا يدرك أنه شخصاً أو حتى أن له اسماً يميزه عن الآخرين ولذلك نجد أن البرامج المخصصة للأطفال المحرومين تؤكد بالدرجة الأولى على ضرورة تعلمهم مفهوم الذات، نظراً لأهمية هذا المفهوم في تعزيز ثقتهم بأنفسهم، وفي تحقيق ذواتهم وتوكيدها.

هذا، ويستخدم المربون العديد من الطرائق لمساعدة هؤلاء الأطفال، مثل وضع مرايا ذات طول كامل، في أماكن يستطيع الأطفال فيها أن يروا أنفسهم، والتقاط صور فوتوغرافية لهم، وإطلاعهم عليها، ومناقشتهم فيها، وتضمن أسئلتهم في الأناشيد والألعاب وغيرها من الأنشطة التي يقومون بها.

ومن هنا، نستطيع أن نؤكد أن احترام المربية للأطفال في الروضة، وتقديرها لأعمالهم وإنجازاتهم الناجحة، ومنحها لهم الحب والحنان، أمور في غاية الأهمية، وهي تسهم إسهاماً كبيراً في نمو مفهوم الذات الإيجابي لديهم.

#### رابعاً: سمات مفهوم الذات:

يتسم مفهوم الذات بسمات عديدة أهمها أنه:

##### 1 - هرمي بنائي:

يتشكل مفهوم الذات لدى الطفل من خلال الخبرات التي يمر بها في صغره، فالطفل الذي يتكون لديه مفهوم إيجابي نحو ذاته في مهارة العزف على آلة موسيقية مثلاً يكون قد مرّ بخبرات عززت لديه هذه المهارة منذ نعومة أظفاره، سواء في منزله أو في الروضة التي يذهب إليها في طفولته المبكرة، ومن ثم في المدرسة، وإن لم تتوافر له مثل هذه الخبرات المعززة يتوقع أن يتكون لديه مفهوم سلبي نحو الموسيقى على الأغلب. والأمر ذاته ينطبق على المهارات والمفاهيم الأخرى، اللغوية والرياضية، والأخلاقية، والاجتماعية وسواها....

وينمو مفهوم الذات بالتدرج مسيراً المراحل النمائية والخبرات التي تحدث فيها وهكذا يأخذ شكلاً هرمياً تتكون قاعدته في الطفولة المبكرة، وتبنى القواعد الأخرى في المراحل اللاحقة، وقد يستمر هذا البناء بالسيرورة والارتقاء مدى الحياة.

عندما يأتي الطفل إلى الروضة في السنة الثالثة من عمره، يكون قد كون مفهوماً ما لذاته، وإن كان هذا المفهوم غائماً وغير محدد وذلك من خلال تفاعله مع أفراد الأسرة، ومع الأعراب والجيران والأقرباء من حوله، وإذا ما قامت المربية التي سبق أن حيرت الأطفال وتعاملت معهم، بإلقاء نظرة عامة على الأطفال الوافدين إلى الروضة لأول مرة فإنها ستجد

أمامها « شخصيات متميزة » ومفاهيم متباينة لفكرة أولئك الأطفال عن ذواتهم قبل أن تضع الروضة بصماتها عليهم. (خطاب، ١٩٨٦، ١٣).

غير أن الأمر المهم ههنا، هو أن مفهوم الذات قابل للتطوير والتغيير والتعديل وبذلك يمكن للروضة أن تلعب دوراً هاماً في تشكيل هذا المفهوم وتعديله، وذلك من خلال الخبرات والأنشطة اللغوية والموسيقية وسواها، ومن خلال الاحتكاك والتفاعل مع المربية والأقران.

وإذا صح أن سمة ثبات مفهوم الذات تبدأ تتكون في الأسرة من خلال التفاعل مع الأهل، ومن خلال التشبث التي يتلقاها، فإنه من الصحيح كذلك أن سمة الثبات هذه نسبية وليست مطلقة لحسن الحظ وهذه السمة تعطي فرصة كبيرة للمربية كي تتدخل في الوقت المناسب وتغير وتطور ما بوسعها من خصائص وسمات ذاتية لدى الأطفال المشككين الذين كونوا مفاهيم سلبية عن ذواتهم.

## ٢ — مفهوم الذات تقويمي:

يتسم مفهوم الذات كذلك بأنه يخضع للتقويم التكويني أو البنائي المستمر، فالذات الاجتماعية لدى الطفل تتأثر بالأقران والأشخاص المهمين في حياته، وتعد المربية في الروضة من بين أهم الأشخاص الذين يمكن أن يؤثروا في الأطفال سواء كان بطريقة مباشرة، ومن خلال التغذية الراجعة الفورية التي تقدمها للأطفال لتعزز عن طريقها سلوكياتهم الصحيحة وتصحح الخاطئة منها، أو بطريقة غير مباشرة من خلال اقتداء الأطفال بسلوكها وطرائقها وتعبيراتها المختلفة اللفظية أو غير اللفظية، وهكذا يتم تقويم الطفل لذاته بشكل مستمر، الأمر الذي يساعد على تطوير هذا المفهوم ووضوحه وارتقائه باستمرار.

## مفهوم الذات ودوره في تحقيق الذات وموقعه في هرم الحاجات الإنسانية:

إن بناء مفهوم إيجابي للذات يضمن للفرد صحة نفسية جيدة، ويساعده على استثمار إمكاناته إلى أقصى حد ممكن، ويشعره بالثقة والأمن والاطمئنان ويمكنه من احترام ذاته وتقديرها ومن ثم تحقيقها.

ويعتبر (ماسلو) مفهوم تحقيق الذات واحد من الحاجات الهامة للصغار والكبار وقد وضعه في هرمه ليصف من خلاله الحاجة الإنسانية العليا التي يسعى الشخص السوي والذي يتمتع بصحة نفسية جيدة إلى تحقيقها بعد أن يكون قد أشبع حاجاته الجسدية الأساسية.

ويرى ماسلو، بأن مفهوم تحقيق الذات يعني « الرغبة في أن يكون الفرد هو ذاته أكثر فأكثر وذلك إلى أقصى درجة تتيحها له إمكاناته. (Maslo, 1870 p. 81)

إن انفتاح الطفل على العالم من حوله يوفر له خبرات كثيرة، ويكسبه معارف ومعلومات غزيرة ويعلمه السلوك الناضج الذي يساعده على تكوين مفهوم إيجابي لذاته وعلى مزيد من تحقيق ذاته. أما موقع مفهوم تحقيق الذات في هرم الحاجات الإنسانية الذي وضعه ماسلو، فيأتي في المرتبة الخامسة أي تسبقه الحاجات الجسدية، تليها الحاجات الأمنية، ثم الحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى اعتبار الذات وتقديرها، ومن ثم الحاجة إلى تحقيق الذات (انظر الشكل).



### « هرم ماسلو للحاجات »

ويعتقد ماسلو أن فئة قليلة من الناس هي التي يمكن أن تصل إلى تحقيق هذه الحاجة الهامة، ويرى أن الحاجات الثلاثة الأولى في هرمه هي حاجات للبقاء أو الاستمرار في الحياة بينما تعد الحاجات التي تلي ذلك خاصة بكيونة الفرد وذاته، وتحقق له أقصى ما يمكن أن يصبو إليه باعتباره إنساناً سوياً خيراً، يتبادل العطاء مع الآخرين (م.س).

إنه لمن المؤكد، أن فهم المربية في الروضة لهذه الحاجات وتسلسلها، وعلاقتها المتداخلة وإمكانية تغيير مواقعها في هذا الهرم من ظرف لآخر، ومن طفل لآخر، يساعدها في فهم حاجات الأطفال ومشكلاتهم النفسية التي يمكن أن تكون ناجمة عن عدم إشباع هذه الحاجات أو بعضها، والتي يمكن أن تؤثر سلباً في تكوين مفهوم الذات لديهم.

### سبل بناء مفهوم إيجابي لدى طفل الروضة:

تنتقل مشاعر الأطفال معهم إلى الروضة وتصاحبهم أينما ذهبوا، بكل ما تنطوي عليه هذه المشاعر من مخاوف وقلق، أو مباحج ومسرات أو حب وكرهية نحو أنفسهم وأقربائهم، ونحو آبائهم، والطفل قلما يعبر عن مشاعره بطريقة لفظية، ولكن الأفعال أصدق من الأقوال كما يقال، ولهذا « فإن أفضل وسيلة للكشف عن مشاعر الأطفال في هذه المرحلة، هي ملاحظة سلوكهم والتفسير الجيد لهذه الملاحظات والسلوكيات والتصرف المناسب حيالها » (Felker 1974 P. 105)

وتستطيع المربية في الروضة أن تسهم إسهاماً جيداً، في بناء مفهوم إيجابي للذات، لدى الأطفال، من خلال معرفتها وتنفيذها الإجراءات التالية:

#### ١ - مساعدة الطفل على تقبل ذاته:

يأتي الطفل إلى الروضة محملاً بصورة ذهنية معينة، وتتميز هذه الصورة بأبعاد ثلاثة هي: فكرته عن ذاته، فقد يتصور أنه شخص له كيان قادر على التفاعل والتعلم، له قوة جسمية معينة يرتاح إليها، ولديه قدرة عقلية تمكنه من التفوق والنجاح، وقد يتصور ذاته أنه قليل الشأن، ضعيف القدرات وغير قادر على الإنجاز والنجاح... ويتعلق البعد الثاني بفكرة الطفل عن نفسه ولكن من خلال علاقته بالناس الآخرين، فقد يتصور أنه شخص محبوب ومرغوب فيه، أو أنه شخص كرهه منبوذ وغير محبوب من الآخرين، ولا بد من الإشارة ههنا إلا أن نظرة الناس إليه تشكل أهمية كبيرة بالنسبة له، ويؤثر فيه أيما تأثير لأن صورة كل طفل عن ذاته تتكون من خلال نظرة الآخرين إليه.

أما البعد الثالث فهو مثالي، يتعلق بنظرة الطفل إلى ذاته كما يجب أن يكون، وهذه الصورة تختلف عن الصورة التي يرى نفسه فيها بالفعل أهو كفوفاً أو غير كفء محبوباً أم

مكروهاً، إذ نجد أن كل طفل يتخيل نفسه في أعماق ذاته وقد حقق كل ما يتمناه أو جزءاً غير قليل منه (م.س).

ويكون الطفل متقبلاً لذاته، كلما قل الاختلاف ما بين نظرتة الفعلية إلى ذاته وبين نظرتة المثالية، إذ تعبر هذه الحالة عن نضج يتناسب مع هذه المرحلة النمائية وعن ثقة كبيرة بالنفس وبالآخرين من حوله، ممن يمدون له يد المساعدة والعون عند الحاجة، وعلى رأسهم والداه ومربيته والمربية الخيرة والمعدة إعداداً جيداً تكون متأهبة دائماً لاستثمار الفرص التي تؤدي إلى دعم الذات لأي طفل وعلى نطاق واسع لتشمل الأطفال جميعهم، إذ عليها أن تنمي لدى كل طفل أساليب للتغلب على الصعوبات والمعوقات التي تنقصه ولا يستطيع السيطرة عليها، وتحويل بينه وبين تكوين مفهوم إيجابي عن ذاته، وتتعلق هذه الأساليب بالمتغيرات والمحددات التالية:

#### أ - تقبل الذات يقتضي أولاً معرفة الذات:

إن فهم الذات ومعرفتها وتقبلها عملية تتم بالتدرج، ومع التقدم في العمر، وتحتاج إلى مزيد من الوقت والفرص الملائمة، فكل طفل يولد ولديه مكانزمات (آليات) التوقيت الخاصة به. إننا نجد مثلاً أن بعض الأطفال يسير غموهم وفقاً لتوقيت بطيء، وبعضهم يسير وفقاً لتوقيت سريع، وبعضهم الآخر يسير وفسقاً لتوقيت متذبذب ومضطرب وغير منتظم. والمطلوب أن يُسمح أو يُهيأ لكل طفل أن ينمو وفق المعدل أو التوقيت الخاص به (إبلنج، وإمجز، ١٩٨٧).

والمربون الذين يراعون السرعات المتباينة لنمو أطفالهم، يمكنهم أن يكتشفوا طرائق متعددة، يمكن لكل طفل أن يشعر بوساطتها بالإرتياح للسرعة التي ينمو بها، ولا يجوز أن يتعر أي طفل بالعجز لأنه لا يساير رفاقه في سيرورة غموهم ... بشكل حربي دقيق.

وهناك أمر هام يجب التنبيه إليه منذ البداية، وهو أنه على المربين أن يدركوا طبيعة أنماط نمو الأطفال، وإن بإمكانهم أن يلاحظوا مثلاً أن بعض الأطفال يتفاهمون مع غيرهم بطرائق لفظية، وبعضهم الآخر يحقق ذلك بطرائق غير لفظية، وبأقل ما يمكن من استخدام الكلمات المنطوقة، إذ يستعيضون عنها بالإشارات وتعبيرات الوجه أو العيون التي لا تقل قدرة على التعبير من الطرائق اللفظية، وربما تتفوق عليها في بعض الأحيان.

إن على المربين أن يتحینوا الفرص التي يمكن للأطفال أن يعسبروا فيها عن أنفسهم بطرائقهم الخاصة، « ويمكن أن يتحقق التقاء الأفكار والعقول وتواصلها عن طريق أنشطة عديدة مثل اللعب والرسم والتمثيل والغناء والاستماع والمشاهدة، مثلما يتحقق عن طريق السمع والتواصل اللفظي التقليدي المؤلف « (الأحمد، ١٩٩٨).

« ويحتاج الآباء والمربون في بعض الأحيان إلى مزيد من الوقت للنمو والنضج مثل أبنائهم لأن ظروفهم ليست طيبة دائماً ومریجة وهادئة، وهم بحاجة إلى مزيد من الوقت ليتكيفوا مع مسؤولية كونهم آباء ومربين صالحين وأكفيا، وقد يحتاج الكثيرون منهم إلى تكريس المزيد من الوقت ليصبحوا أكثر تقبلاً لأنفسهم وبالتالي لأطفالهم لأن ما يعكسونه على أطفالهم من أقوال وأفعال سيصبح النواة الحقيقية لما ستكون عليه شخصيات هؤلاء الأطفال في المستقبل « (جيلهام، ١٩٦٤).

ويستطيع المربون أن يساعدوا الطفل في عملية اكتشاف ذاته وفهمها وتقبلها، أو يعيقوا هذه العملية، ففهمهم أو عدم فهمهم لكل ما تقدم، يمكن أن يدعم نمو الشخصية أو يقف عائقاً في طرائق هذا النمو السوي.

ويمكن أن توفر البيئة في الروضة المناخ المناسب للطفل كي يشب وينمو بطريقته الخاصة أو قد تعيقه عن اكتشاف عالمه الخاص به والتوافق معه، وعلى ذلك تقع على المربية مسؤولية كبيرة فيما يختص بفهم خصائص الطفل وحاجاته في هذه المرحلة المبكرة من عمره، وفيما يختص بمسألة توفير الزمن الكافي لكل طفل كي يجد نفسه التي بدأ يبحث عنها من خلال الأسئلة التي يطرحها مثل: من أنا، من أكون، من هو، وما الفرق بيني وبين الآخر، وما علاقتي به، إنها الإشكالية التي تبدأ مع بداية البحث عن الذات.

#### ب — تقبل الذات وعلاقته بالقصور الجسدي:

إن مفهوم الذات الجسدية ينمو قبل غيره من المفاهيم الأخرى، وينال قسطاً كبيراً من اهتمامات الأطفال، ويؤثر تأثيراً كبيراً في نظرهم إلى أنفسهم وإلى أقرانهم، فقد يعاني بعض الأطفال في الروضة من قصور جسدي ما، أو من تشوه ما في وجوههم أو أنوفهم أو أرجلهم أو شفاههم .... الخ، ويؤدي ذلك إلى أن ينظر بعض رفاقهم إليهم نظرة غير مستحبة، وربما يشيروا إليهم بين الحين والآخر، ويعيروهم بهذا النقص، ولا شك أن هذه الاستجابات تسبب

لهم آلاماً نفسية كثيرة، وتشعرهم بالعجز والدونية وانعدام الثقة بالنفس، وتؤدي في الغالب إلى تكوين مفهوم سلبى لديهم عن ذاتهم الجسدية، وهذا كله يمكن أن يؤثر تأثيراً سلبياً في أدائهم وسلوكياتهم، ويقلل من إنجازاتهم الناجحة وربما يحولهم إلى أطفال مُشكّكين وعدوانيين.

وهنا، يكون من واجب المربية أن تعلم الأطفال أن يتقبلوا رفاقهم مهما كان شكلهم ومظهرهم « وأن يجعلهم يدركون أن الإنسان يقدر لذاته ولأفعاله الناجحة، أو خصاله الحميدة، أكثر مما يقدر لمظهره الخارجي، وأن يدركوا كذلك أن أشكال الناس ليست متساوية، وأن حيلتنا ضعيفة أمام بعض الأمور التي تخرج عن حدود إرادتنا. (Filker,1974,P.62).

### ج - تقبل الذات وعلاقته بالبيئة غير المتسامحة:

تعد الثقافة الخاصة (المتزلية) التي يولد فيها الطفل من المؤثرات الفعالة التي تعمل على نمو صورته عن ذاته، والبيت أول مصدر لتنمية الصورة في ذهن الطفل، ويليه الروضة من حيث الأهمية، وبوسع هذه الصورة العقلية الأولية بما لها من ذكريات أن تمنحه الثقة بالنفس، والقدرة على مجابهة الآخرين، إذا كانت مفرحة، أو قد تكون مبعثاً للشك وعدم الثقة والقلق والحجل إذا كانت مؤلمة. إن الجو المتسامح الذي يعيش فيه الطفل في المنزل والروضة والمدرسة يولد لديه خبرات سارة، ويساعده على تقبل ذاته، أما البيئة غير المتسامحة التي تعتمد " العقاب " البدني أو المعنوي أسلوباً وحيداً لتصحيح الأخطاء التي يرتكبها الطفل، فتولد لديه خبرات مؤلمة، وتوجهه نحو العنف والإيذاء والعدوان الموجه إلى الذات أولاً ومن ثم إلى الآخرين، فلا يستطيع أن يتقبل ذاته، ولا الآخرين يتقبلونه، لأنه يدرك أن سلوكياته مكروهة وضارة، ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عنها.

والآن، ماذا تفعل المربية إزاء هذا الطفل وأمثاله من الأطفال الذين يفدون من منازل متشددة، وغير متسامحة، مليئة بالمشكلات والمشاحنات، وتعتمد أسلوب العنف مع الأطفال بأشكاله المختلفة، هل تستمر في معاقبة هؤلاء الأطفال أم ماذا؟.

الاتجاهات في هذا الموضوع ربما تكون متباينة، وربما ترى بعض المربيات أن التعامل مع هؤلاء الأطفال صعب جداً، وأن التنظير غير الفعل، ولا بد من العقاب في بعض الأحيان.

إن الاتجاه الحديث الذي بني على نتائج دراسات وأبحاث علمية بالإضافة إلى خبرات ميدانية يشير إلى ميل معظم الدارسين والمربين إلى ضرورة إهمال السلوك الخاطيء واتخاذ موقف اللامبالاة حيال هؤلاء الأطفال، وتعزيز السلوكات الإيجابية التي تنبئ عنهم بين الحين والآخر، إلى أن يدركوا أن هذه السنوكات دون سواها هي المطلوبة والمرغوب فيها، وهي التي تنال رضا المربية واستحسانها (الأحمد، ١٩٩٨).

وحقيقة الأمر أن المسألة غاية في الصعوبة، فالأطفال ليسوا نسخاً من بعضهم ولا توجد قاعدة واحدة تنطبق عليهم جميعهم، لا بل حتى لا توجد قاعدة أو نمط واحد من المعاملة يصح مع الطفل باستمرار.

المطلوب إذن هو « التنوع في أساليبنا بين التسامح، والتغاضي والإهمال والترك، والعقاب غير المؤذي نفسياً أو جسدياً للسلوكات غير المرغوب فيها في بعض الأحيان التي لا تنفع فيها الأساليب الأخرى، وتعزيز السلوكات الصحيحة والمرغوب فيها، وإن كانت قليلة، لأن كل طفل يكاد يكون حالة خاصة، وما ينطبق على زيد قد لا يصح على عمر » (الأحمد، الأمل، ١٩٩٨) إذن يستحسن تعميم القاعدة الصحيحة على معظم الأطفال، والتنوع مع الحالات التي لا تنطبق عليها القواعد.

#### د - تقبل الذات وعلاقته بالبيئة المحيطة:

بعض الأطفال يأتون إلى الروضة أو المدرسة من أسر ثرية جداً من الناحية المادية وتحتوي بيوتهم على مقتنيات فاخرة وتمتيزه عالية الثمن، وبعضهم الآخر يأتي من منازل أقل غنى أو من منازل ربما تكون محففة وفقيرة من الناحية المادية.

غير أن الأطفال الأسوياء من جميع البيئات والمستويات، لهم حاجات أساسية لا غنى عنها، إنهم جميعاً بحاجة إلى الحب والحنان والتقدير والاحترام ولديهم جميعهم إمكانات تكوين الشخص المناسب السوي وفرص تحقيق النجاح ومن ثم تحقيق الذات.

والسؤال المطروح هنا، هو كيف تتعامل المربية مع هؤلاء الأطفال وكيف تلي حاجاتهم؟... إن الإجابة تعتمد إلى حد كبير على مدى تقبلها لهم، ولعالمهم الطبيعي ولظروف معيشتهم، فإذا كانت تنظر إليهم باستهجان واشتزاز فإن ذلك سينعكس على إحساسها

وشعورها نحوهم، وعلى مبادلتهم إياها هذا الإحساس، أما إذا تقبلتهم على أنهم يستحقون الرعاية والحب وقابلون للتعلم والتطور، فعليها أن تبحث عن الأشياء الجميلة فيهم، وأن تعاملهم بعيداً عن ظروفهم المادية الخاصة وبذلك يمكن أن تزرع بذور اعتبار الذات وتقديرها في نفس كل طفل.

#### هـ - تقبل الآخر:

ترتبط معرفة الذات وتقبلها بمعرفة الآخر وتقبله، فالطفل الذي لديه الثقة بنفسه يثق بالآخرين، ويرغب في الانطلاق نحوهم والانفتاح عليهم يأخذ بيد غيره ويعرفه بذاته وعالمه الخاص، كما يرغب في أن يدع الآخرين يدخلونه إلى عوالمهم، ويعرضون عليه مشاكلهم الخاصة، وبهذه الطريقة تكمل الدورة نفسها ويتحقق التوازن المنشود" (جلهام، ١٩٦٤، ص ٦٣). وتؤثر حاجات الفرد في إدراكه للآخرين، كما أن تقدير الذات واحترامها يعتمدان جزئياً على الأقل على مدى ما يقره الآخرون ويعترفون به من النجاح الذي يحرزه الفرد، ولكي يشعر الفرد بالقوة من الداخل، ويستغني عن الإشباع الخارجية يكون أميل لعدم تقبل الأشخاص الذين يعتبرهم عقبة كأداء في طريق نجاحاته وتحقيق ذاته.

ولا شك أن التزمت والتعصب والانغلاق على الذات وغيرها من العوامل الأخرى التي يمكن أن يكتسبها الطفل من البيئة تعيق تقبل الآخرين له، فمثلما يتعلم الأطفال الاحترام والتقبل بإمكانهم أن يتعلموا نقيضهما أي التزمت والتعصب والتحقير. ومن هنا تكون مسؤولية المربين في رياض الأطفال جد كبيرة ودقيقة، وعليهم أن يدركوا أن تقبل الآخر يرتبط بمتغيرات عديدة يجب أخذها بعين الاعتبار أهمها:

#### و - تقبل الآخر وعلاقته بالثقافات المتنوعة (داخل البلد الواحد):

في إطار الثقافة العامة الجامعة للبلد الواحد يمكن أن توجد ثقافات فرعية متباينة بعض الشيء، فهناك إلى جانب ثقافة أهل المدن، ثقافة أهل الريف، وثقافة أهل البادية وتوجد في بعض الأحيان أقليات قومية إلى جانب القومية الأصلية تقطن في هذا البلد أو ذاك وهكذا يمكن أن نجد عادات وتقاليد، ومعايير وطرائق حياة، ولهجات محلية متفاوتة بعض الشيء،

وعندما يلتقي الأطفال في الروضة بإمكانهم أن يلاحظوا هذا التفاوت بسهولة وعلى المربية أن تفهم وتستوعب كل الأطفال، بغض النظر عن عاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم وانتماءاتهم الثقافية المختلفة. إن موقف المربية واتجاهاتها العادلة والمتكافئة نحو الأطفال تساعدهم على التفاعل فيما بينهم، وعلى همة أجواء يشعرون فيها بالطمأنينة والتوادر والتحاب.

وعلى أية حال، تظل التربية الواحدة، والثقافة الأساسية الواحدة هي السائدة المسيطرة، وهي القادرة على توحيد اتجاهات الأطفال وتقاربهم، وهي التي تساعدهم على تجاوز التباينات والانتماءات الثانوية، وصولاً إلى الانتماء الأكبر إلا وهو الانتماء إلى الوطن الواحد والثقافة العامة الواحدة التي ينضوي تحتها ويعمل من أجلها كل الأبناء.

ي - تقبل الآخر وعلاقته بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي:

يعمل الناس في مهن مختلفة ومجالات عديدة ويتفاوتون في مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، في السكن واللباس، في الغذاء واقتناء الحاجات، وينعكس ذلك على أطفالهم مباشرة... وعندما يذهب هؤلاء الأطفال إلى الروضة أو المدرسة يكون بإمكانهم أن يلاحظوا هذه الأمور، وربما يهتم البعض منهم بالشكل على حساب المضمون.. وهذه الاهتمامات والاتجاهات تنمو في الأسرة أولاً قبل قدومهم إلى الروضة... وربما تجد أن هذه الأمور قد تعززت وترسخت عند الأطفال بشكل أو بآخر، وهنا تكون مهمة المربية أصعب إذ عليها أن تفهم هي أولاً وتتقبل كل الأطفال بشكل متساوٍ وذلك بغض النظر عن لباسهم ومظهرهم الخارجي، وعليها كذلك أن تنقل هذه الأفكار إلى الأطفال وتعلمهم أن الإنسان يجب أن يعتد ويفاخر بذاته وإمكاناته وأخلاقه أكثر مما يفاخر بمظهره الخارجي أو السيارة التي يركبها أو الأشياء الثمينة التي يمكن أن يحضرها معه بين الحين والآخر.

إن هذه الأمور غاية في الأهمية، وعلى المربية أن توليها عنايتها ولا تستهين بها لأنها يمكن أن تترك آثار سلبية كثيرة تؤثر في نفوس الأطفال وفي فهمهم لدنواهم وتقديرهم لها، ويمكن أن تؤثر بالتالي في نجاحاتهم وإنجازاتهم اللاحقة في المستقبل.

وحقيقة الأمر، أنه ليس من السهل أن يتقبل الأطفال بعضهم بعضاً، وفي كل الحالات فعوامل عدم التقبل موجودة سواء ارتبطت بالشكل الخارجي أو باللهجات أو القصور

الجسدي أو العقلي أو اللون. أو حتى رغبة بعض الأطفال في القيادة والسيطرة والاحتسواء والتسلط.. أو غير ذلك من الأمور، فقد يشعر الأطفال إزاء هذه المسائل بالتقيد والكف والإثارة الشديدة، ولكن وبغض النظر عن كل هذه السلوكيات التي لا تساعد على التقبل فإن هنالك مسألة أساسية يجب أخذها بعين الاعتبار، وهي أن الأطفال غير المتقبلين للآخرين لا يشعرون بالسعادة في أعماق نفوسهم، والسؤال المطروح هنا هو، ما الذي يمكن أن تفعله المربية لمساعدة الأطفال على تقبل الآخرين؟ واقع الأمر أنه لا توجد إجابة وحيدة أو محددة لهذه المسألة الشائكة والمعقدة، لأن تقبل الآخر يتداخل ويتكامل مع تقبل الذات وإن بدا متعارضاً معه لدى البعض، فالطفل يحتاج أن ينظر إلى نفسه في نطاق علاقته بالآخرين والمربون يعلمون من خيرا أن الأطفال غير المقبولين من الآخرين، يمكن أن يتحولوا ويصبحوا مقبولين جداً بعد أن يغدو أكثر ثقة بأنفسهم، وأكثر قدرة على الإنجاز والعطاء والمشاركة والتفاعل الاجتماعي...  
فعملية التقبل أو عدمه لا تدرس في الكتب، وإنما تتم تلقائياً وتحت إشراف المربية من خلال المواقف وعمليات التفاعل والتنشئة الاجتماعية .

### مقترحات يمكن أن تفيد منها المربية:

على المربية أن تضع في اعتبارها أهمية التصورات الإجرائية التالية:

- العمل على خلق المناخ المواتي لنمو الذات وإيجاد ظروف مناسبة يستطيع كل طفل أن يشعر فيها بأهميته.
- إشراك الأطفال بالأنشطة المختلفة بفاعلية مثل اللعب والغناء والرسم .. وغيرها.
- إظهار النواحي الإيجابية لدى كل طفل والتأكيد عليها، وإفهامه بأن نواحي ضعفه يمكن التغلب عليها بفضل نواحي قوته.
- الاعتراف بالعمل الجيد الذي يقوم به الطفل دون تمييز بين طفل وآخر.
- توظيف أو استثمار الاستجابة الموضحة مع الأطفال (Clarifying Respos) أي أن تسلك المربية وكأنها مرآة للأطفال تهتم بما يسعدهم وتعبر عن تعاطفها معهم وتواسيهم فيما يجزئهم. (Ginott, 1965. P.14)

- تربية الطفل على الحب والتأكيد والتعزيز الإيجابي، أما النقد والمعارضة فيجب أن يُلقي لاحقاً أي عندما يصبح الطفل على درجة من القوة والثقة التي تمكنه من تقبل النقد.
- تقبل السلوك غير العادي (المشكل) انطلاقةً من أن النفوس المضطربة تجد ملاذها في السلوك العدواني عندما تزداد الضغوط عليها وتحتدم.
- إشعار الأطفال بأهم جديرون بالثقة والاحترام.
- إتاحة الفرصة للأطفال كي يعيشوا حياتهم بإيجابية لينشئوا أصحاباً معافين.
- وفيما يلي بعض التعبيرات الدالة على أن الفرد يتعلم ما يعيشه من خلال التثنية الاجتماعية:
- \*الجوانب السلبية: — حين يعيش الانتقاد يتعلم الإدانة.
- حين يعيش العدوان يتعلم المقاتلة.
- حين يعيش الخوف يتعلم القلق.
- حين يعيش الغيرة يتعلم الإحساس بالذنب.
- \*الجوانب الإيجابية: — حين يعيش الأمن يتعلم الثقة بنفسه وبمن حوله.
- حين يعيش القبول يتعلم الرضى.
- حين يعيش التقبل يتعلم الحب.
- حين يعيش المساواة يتعلم العدالة.
- حين يعيش الأمانة يتعلم احترام الحقيقة.
- حين يعيش التسامح يتعلم الصبر والأناة.
- حين يعيش الثناء يتعلم التقدير.
- حين يعيش الصداقة يتعلم حب عالمه. (Khattab, 1984, 434).

## \* كلمة أخيرة.

إن ارتقاء مفهوم الذات ومفهوم الآخر عمليتان لا تتمان دفعة واحدة، بل تتحققان خطوة خطوة وبالتدرج، وعندما تكون الفرصة والظروف مهيأة لذلك.

ولكي تنمو مشاعر الأطفال وأفكارهم، ولكي تتطور وترتقي، ينبغي أن تتاح لهم فرصة المحاولة والتجديد، وأن يهيأ لهم المناخ المناسب الذي يستوعب الطفل، ويفتح له ذراعيه ويحتضنه، بدلاً من أن يصدّه ويقيده، وتستطيع الروضة أن تهيء الفرصة لمشاعر الأطفال كي تنسجم وتتفاعل مع بعضها، حتى يمكن للفهم الحقيقي أن يأخذ مكانه ويسير في مجراه الطبيعي. ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أنه، كلما ارتقى الشخص في فهم ذاته وتقبلها، وفي فهم الآخر وتقبله كلما تمتت العلاقة التعاونية والودية بينه وبين الآخر.

إن إقامة علاقة صحيحة متينة مع الآخر أمر على درجة كبيرة من الأهمية، لأن بداية العلاقة بالآخر، هي البداية الصحيحة لتمتين العلاقة بالوطن والانتماء إليه، ومن ثم تمتين العلاقة بالعالم والإنسانية جمعاء.

إن المسؤولية الملقاة على عاتق المربين عموماً والمربية في الروضة على وجه الخصوص فيما يتعلق بالنمو السليم لفهم الذات وتقبلها، ومن ثم فهم الآخر وتقبله مسؤولية جد كبيرة، لكن لا داعي للخشية والخوف، لأن التأمل والتعمق في هذه المسألة يبين أن المربية لا تعمل لوحدها، بل هناك فريق عمل متكامل، يتألف من الأطفال أنفسهم، ومن الوالدين والأخوة، ومن مؤسسات المجتمع الرسمية والشعبية المختلفة.

وقد أجابت (ماريان أندرسون) عن السبب الذي من أجله نستخدم ضمير (نحن) بدلاً من ضمير (أنا) بقولها: « ربما لأنه كلما طال العمر بالإنسان ازداد اقتناعاً بأنه ليس ثمة شيء يمكن أن ينجزه بمفرده. (جيلهام، ١٩٦٤، ١٥).

إن حاجة الطفل، لا بل حاجة الإنسان صغيراً كان أم كبيراً لمعرفة الآخر وتقبله لا تقل أهمية عن حاجته لمعرفة ذاته وتقبلها وتحقيقها، وعندما يتعلم الفرد أن يحل ضمير (نحن) محل ضمير (أنا) في أقواله وأفعاله يكون قد أوشك على تحقيق ذاته.

هذا وتعد العلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية، علاقة تأثير متبادل، ولكنها تتطلب في الوقت ذاته الفصل والتمايز وعدم التوحد، إن التأثير المتبادل لا يقتضي ذوبان أحدهما في الآخر، بل يتطلب التكامل والتوافق والانسجام والتعاون، والعطاء المتبادل، دون إهمال الشعور بالكينونة والتمايز والاستقلال والخصوصية.

ومما تقدم يتبين، أن فهم الذات والغوص في أعماقها ليس بالأمر الهين، ومهما حاول الباحث أو المري أن يغوص في الأعماق فإنه سيجد مناطق مظلمة، أو ربما مغلقة لا يستطيع ولوجها والكشف عن مكوناتها، وهنا يحضرنى (طاغور) شاعر الهند وفيلسوفها العظيم إذ يقول: « في اتحاد أزلي حقيقي لا حدود له بين الماضي والحاضر، تراءى لي الأنا كعمجزة تحضرنى في كل مكان ».

## المراجع العتمدة

- ايفوركون: (البحث عن الذات) ترجمة غسان نصر، دار معهد للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق ١٩٩٢.
- الأحمد، أمل: (اللعب لدى طفل الروضة) دراسة قيد النشر، لصالح الاتحاد النسائي، دمشق، شعبة رياض الأطفال ١٩٩٨.
- الأحمد، أمل: (المربية كمرشدة نفسية) دراسة قيد النشر، مجلة التربية، الدوحة، قطر ١٩٩٩.
- جيروم، كاغان: (أطفالنا كيف نفهمهم) ترجمة عبد الكريم ناصيف دار الجليل، سوريا، ١٩٧٩.
- بهادر، سعاد محمد علي: (في علم نفس النمو) دار البحوث العلمية، الكويت، ط ٤، ١٩٨٦.
- زهران، حامد عيد السلام: (علم النفس الاجتماعي) عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٧.
- زهران، حامد عبد السلام: (علم نفس النمو) عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٠.
- زهران، حامد عبد السلام: (التوجيه والإرشاد النفسي) القاهرة، ١٩٧٧.
- عاقل، فاخر: (معجم العلوم النفسية) إنكليزي — عربي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٨.
- رزوق، أسعد: (موسوعة علم النفس) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧.
- غاستون، ميالارية: (مدخل إلى التربية) ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت، باريس ١٩٨٢.
- جيلهام ل. هيلين: (مساعدة الطفل على تقبل ذاته وتقبل الآخرين) ترجمة محمد عبد السلام أحمد، القاهرة، نيويورك، ١٩٦٤.
- خطاب، محمد: (دور المعلم المرشد في مفهوم الذات وتحقيق الذات) الأونروا، اليونسكو ١٩٨٦.

## المراجع الأجنبية

- Ames, I.B: The development of the sense time in the young child. J. Gent Psychol, 1994, 168, PP. 97 – 125.
- Felker, D.W. Bulding Positive self – concepts Minneapolis burgess publishing co. 1974.
- Flavell . J. H.: The development psychology of Jeanpiaget. Princeton: Van No strand 1963.
- Maslow, A.H.: Motivation and personality. 2<sup>nd</sup> Edition. New York, Harper and Row Publishers. 1970.
- Ginott H.G: Between parent and child. New York Millan 1965.

**Damascus University**  
**Faculty of Education**  
**Department of Psychology**

### **The Psychological Approach of Child Culture**

**“An Analytical Study of Forming the Concept of the Ego and the Other by the Kindergarten Child and the Role of the Governess in that ”**

#### **Summary of the Study**

The collapse and confusion of the ego may lead totally or partially to various psychological disturbances in personality. Hence came this study, and it was necessary to establish this concept well, work on discovering and understanding it early by the child.

This study aims at achieving many objectives, of which: helping the child to discover and to accept him/herself, defining the nature of the relationship between the concept of the ego and the concept of the other, and defining the role of the governess in the acceptance of the child for himself and the other.

Many paragraphs are involved in the content of this study, the most important of which are: definition of terms, the origin of the concept of the ego and its development in early childhood, the social nature of the self, the self concept attributes, its role in self-actualization and its position in the hierarchy of human needs.

This study also dealt with ways of establishing a positive concept of the self by the kindergarten child, and how to help him/her in accepting him/herself and the other. Starting from the fact that the establishment of a strong and sound relationship with the other is the outset of the sound relationship with the country and belonging to it, and then creating a strong and sound relationship with the world and humanity as a whole.

It was mentioned that the relationship between the ego and the other is a controversial one, their mutual interaction doesn't necessarily mean melting one of them in the other, but it requires integration, compatibility, harmony, and mutual donation, without neglecting the feeling of existence, differentiation, independence and privacy.

**Dr. Amal Al – Ahmad**

Assistant Professor at Damascus University, Faculty of Education,  
Department of Psychology.